المستقبل للإسلام

بشارات وواجبات

فضيلة الشيخ الدكتور

ياسر برهامي

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

[illegible]

دار الفتح الإسلامي

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المستقبل للإسلام

بشارات وواجبات

رقم الإيداع
čċČĎ/čĐĐďč

دار الخلفاء الراشدين
ċČċċđĒČďĒđē

الإدارة: ċČċċđĒČďĒđē المبيعات: ċČČčċċċďđďđ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله Ý .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد Ý ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلالة في النار.

فإن المعركة بين الحق والباطل قدر الله أن تمر بمراحل

تضعف فيها قوة أهل الحق الظاهرية، وينتفش فيها الباطل فيما يبدو للناس، حتى يترك كثير من الناس طريق الحق، إشفاقًا من الاستضعاف والقِلَّة، فتأتي المبشرات من الكتاب والسنة لتعالج مرض اليأس، تجدد أنوار الرجاء في قلوب المؤمنين حتى يستمروا في مسيرة الحق، فالمستقبل لهذا الدين أمر يقيني في الكتاب والسنة، ثم هو كذلك في قلوب المؤمنين، وللقيام بواجب لتبشير الشرعي - ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - في وسط أمواج الفتن، ولتبديد ظلمات اليأس والقنوت.. كانت هذه الرسالة.

أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، وأن يجعلها لوجهه خالصة، وأن يغفر لنا أجمعين ما كان من خطأٍ أو زللٍ، وأن يجمعنا مع نبيه Ý في جنته.

كتبه

ياسر برهامي

ϙÊ۩۩ƽÈǩ ǨШÆqƨ Ʒǩł

وعد من الله لن يتخلف

هذا هو الجانب الأول الذي نتكلم عنه، ذلك أن هذا الأمر وعد من الله Ĵ ، فهي عقيدة راسخة لازمة لكل مؤمن كجزء من إيمانه بالله Ĵ وبكتابه، وكجزء من إيمانه برسول الله Ý الذي أخبر بهذه الحقيقة، فلابد أن نؤمن بذلك.

فهو وعدٌ حقٌ لا شك فيه، تكرر في كتاب الله ليستقر في نفس كل مؤمن، حتى يوقن بآيات الله، فيكون ذلك من أسباب النصر، وأسباب الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، فمن أيقن بآيات الله Ĵ ، وصبر على ما أصابه في سبيل الله، كان إمامًا في الدين، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدِّين.

وقد أمر الله Ĵ رسوله Ý ورسله قبل ذلك بتبشير المؤمنين، فنحن بذلك نبشر المؤمنين؛ امتثالًا لأمر الله Ĵ : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣]، وذلك لان العقبات إذا كثرت ربما ظن كثير من الناس أنها سوف تعرقل المسيرة، أو سوف تمنع الوصول، وليس الأمر كذلك، بل إنما قدر الله Ĵ العقبات من

أجلكـم، من أجل قلوب المؤمنين، من أجل أن يسـتخرج أنواع العبودية التي يحبها Ý من عباده المؤمنين.

ذلك أنه تعبَّدهم بالسَّـرَّاء والضَّرَّاء، وما يحبون وما يكرهون، تعبَّدهم بأن يكونوا مطيعين له ولرسـوله Ý في جميع الأحوال، من أجل عبوديتهم له Ĵ أَضَلَّ أقوامًا حتى كفروا به Ĵ ليجاهدهم أهل الإيمان، وقدَّر الله Ĵ أن يُسـلِّط مـن أراد من هؤلاء الكفرة على أنـاس منهـم، فقتلوهم وآذَوْهُـم وأخرجوهم مـن ديارهم وصَدُّوهـم عن سـبيله؛ ليسـتخرج Ĵ مـن عبوديـة المؤمنين ما يحـب: مـن التضحيـة في سـبيل الديـن، والبـذل في سـبيله Ĵ ، والهجـرة، والجهـاد، والأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر، والصبر، والشـكر، والرضا، والتوكل، والتفويض، وحُسن الظن بالله Ĵ في فترات الشدة والظلام.

ولِيُوُقِـنَ أَهلُ الإيمان كذلك أن الله Ĵ هو الذي بيده الملك، وهـو الذي بيده الأمر كلـه، وإليه يُرجع الأمر كله، وأنه Ĵ الذي يُدّاوِلُ الأيام بين الناس، وأنه Ĵ يحب أن يتخذ من عباده شهداء، يحـب أن يوجد مـن يطيعه في وسـط الظـلام، وَيَسْـبِقُ إليه Ĵ ، يحـب أن يوجد مَن يعبده والناس معرضون، يحب أن يوجد مَن

يطيعه والناس عاصون، يجب أن يوجد من يُؤْذَى في سـبيله ومن يُخَافَ في سبيله، قال Ý : «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَد»[1] فهذا جعله النبي Ý من فضل الله عليـه، وقـد قـال Ĵ : ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٦]، فلـولا وجود ما في أول الآية ما كان الشكر في آخرها على الوجه الذي يحبه Ĵ ، فمن كان مسـتضعفًا، ومن كان قليلًا، ومن كان يخاف أن يتخطَّفـه الناس، يُدْرِكُ قيمة الإيـواء والتأييد بنصر الله، وقيمة الرزق من الطيبات.

قـدَّر الله Ĵ كل هـذه العقبـات لا لأجـل أن تقـف في طريق المسـيرة، بـل لأجل أن تُستَخرج أنواع مـن العبوديـة، أما نهاية الصراع والمطاف في هذه المعركة بين الإسـلام وبين الكفر عَبْرَ التاريـخ نهايةٌ محتومةٌ مقطوعٌ بهـا، وَعَدَ الله Ĵ بذلك، وكتبها في اللَّـوح المحفوظ الذي لا مَحْوَ فيـه ولا إثبات، وكتبها في الكتب

---

(١) رواه ابن ماجه (١٥١) من حديث أنس بن مالك Ç ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٢).

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

المنزلة على رسله، كما قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

قوله تعالى: ﴿ فِي ٱلزَّبُورِ ﴾ أي:في جنس الكتب المنزلة، المزبورة – أي المكتوبة – التي أنزلها الله ﷻ ، وليس المقصود زَبُورَ داود فقط بل في كل الكتب، كما قال ﷻ : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران:١٨٤]، يقال: (زَبَرَ الكتابُ) إذا كُتِبَ.

فالله ﷻ كتب في الزبور – أي في الكتب التي أنزلها – ﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي من بعد الذكر الأول، وهو اللوح المحفوظ، كما قال النبي ﷺ : «وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(١).

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ، فهي كتابة قَدَرِيَّة كَوْنِيَّة لا يمكن أن تُخْلَفَ، وهي كتابة شرعية كذلك، فالله ﷻ شرع ذلك وأمر به، فواجب على أهل الإسلام أن يَسْعَوْا إلى إعلاء كلمة الله؛ ولذلك كان في كتاب الله المُنزل هذا الأمر وهذا الوعد.

واختص الله أُمَّةَ الإسلام بأن وظيفتها ليست مقتصرة على أرض

(١) رواه البخاري (٣١٩١) من حديث عمران بن حصين ﷺ .

دون أرض، بل المستقبل لهذا الدين في أجراء الأرض كلها؛ ولذلك كتب الله ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ بأسرها ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٦]، فالله ﷻ شَرَطَ أن يكونوا عابدين، كما قال ﷻ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور:٥٥].

إذن لابد لمن أراد أن يكون من أهل هذا الوعد، ومن أراد أن يكون خطوات على الطريق، ومن أراد أن يكون لَبِنَاتٍ في البناء، وبالأَوْلَى لمن أراد أن يكون من أعمدة البناء؛ أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ ، لابد أن يكون من أهل هذه الصفات، وهذا جزء من الجواب على السؤال الثاني، وهو كيف نصل إليه؟

ΘłƷƘ ǂƛ

والبشـارات مبثوثة في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله Ý ، وفي أرض الواقـع – في حياة الناس –؛ كلَّها مُبَشِّـراتٌ فلابد أن نوقن بما وعد الله.

ƷƌƸÆƘł ǰǭ ΘłƷƘǂƛ

قال Ĵ : ‖ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا | [الفتح:٢٨]، الله هو الذي شَهَد بهذه البشارة، وأرسل رسوله Ý من أجل ذلك.

‖ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ | ، فالإسـلام في بـاب الاعتقـادات والعلـوم هـو الهـدى، وفي بـاب الأعمال والتصرفات والسلوك هو دين الحق، وفي باب العلم والعمل هو الحق لا مِرْيَةَ فيه.

‖ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ | أي: ليُعليـه، ولينصـره وليظهره على الدين كله ولو كره المشـركون، ‖ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا | .

قـال Ĵ : ‖ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ

قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ | [التوبة:٣٠-٣٢].

مـا أعظم هذه البشـارات وهذه الآيات! توضِّـح لنا الطريق، وتُوضِّـح لنا ما في قلـوب الأعداء؛ حتى لا يَخْدعنـا أحدٌ عما في قلوبهم، وحتى لا تخدعنا ألسـنتهم ولا ألسنة من يواليهم ويتشبه بهم من إخوانهم المنافقين الذين يحاولون إدخال العقائد الفاسدة التـي تخالف القرآن في نفوس المسـلمين. أخـبر الله عنهم: أنهم – مـع شـركهم وكفرهم – يريدون أن يطفئوا نـور الله بأفواههم، وأخبر Ĵ أن هذا الصراع مستمر.

ولماذا خصَّ الله اليهود والنصارى بالذِّكر في هذا الموطن؟

والجـواب: أن هـذا لأن صراعهم مـع الأُمَّة الإسـلامية إلى قُرب قيام السـاعة، كما دلت عليه الأحاديـث الكثيرة الثابتة عن رسـول الله Ý في بقاء هاتين الأمتين، فقد تزول أُمم بِأَسْرِها كما

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

زالـت أُمة الفُرْسِ، لكن لم تَزَلْ هاتـان الأُمتان في صراعٍ مع أهل الإسلام ولن يَزَالَا.

وأخـبر الله Ĵ عنهـم انهم يريـدون أن يطفئوا نـور الله، فنور الله هـو الحق الذي جاء به محمـد Ý ، وهو الذي جاءت به كل الرسـل قبـل ذلك، ولكن زمن سُـطُوع هذا النُّور هـو بعثته Ý ؛ ليملأ الأرض كلها حتى يُعبد الله وحده لا شريك له. فهل يُتصور أن يكـون نـور الله – الـذي هو أعظم مـن نور الشـمس وحاجة النـاس إليه أعظـم من حاجتهم لنور الشـمس – يُمكـن أن يُطْفَأَ بالأفواه؟!

تخيَّل هذه الصورة لتستبشر أيها المؤمن: تخيَّل أن أُنَاسًا قاموا في الأرض وبذلوا كل جهدهم طوال الليل ينفخون حتى لا تطلع الشـمس، ظانِّيـن أن الظـلام كان من صُنعهـم، ويقولون: (نحن الذين مَلأْنَا الدنيا ظلامًا)! والحقيقة: أنها أوقات قدَّرها الله.

كذلك هـؤلاء الذين ينفخون حتى يُطْفَأَ نور الله Ĵ ، منظرهم وحالهم مضحِك، يُشـفق عليهم منه؛ ذلك أنه يسـتحيل أن يُطْفَأَ نور الله كما يستحيل أن تُطْفَأَ الشمس بأفواه من كره طلوعها.

وكمـا أن الظـلام ليس من صُنـع الناس فكذلك هذا الفسـاد

الـذي يملأ الأرض، نعـم هم اسـتغلُّوا فترة الظُّلمـة، ولكن كل ذلـك بِقَدَرِ الله Ĵ ، فالله الذي دَاوَلَ الأيام بين الناس، والله مَالِكُ المُلك، يؤتي المُلك مَن يشاء، ويَنزَعُ المُلك ممن يشاء، ويُعِزُّ مَن يشـاء، ويُذِلُّ من يشاء، بيده الخير، وه على كل شيء قدير، يُولِجُ الليل في النهار، ويُولِج النهار في الليل، ويُخْرِجُ الحَيَّ مِن الميت، ويُخْرِجَ الميِّتُ من الحّيَّ، ويرزق من يشاء بغير حساب.

وكما يَدْخُلُ الليلُ في النهار، وتَطْلُعُ الشمسُ في موعد محدَّد، وتَغْـرُبُ في موعد محدّد، ليس للبشـر فيه اختيـار، فكذلك يَظهر نـورُ الله حين يشـاء، يكون من ذلك ما شـاء الله أن يكون، ولكن لا بـد أن يَتِـمَّ؛ لأن الله Ĵ قال: ا وَيَأۡبَى ٱللَّهُ ا وعدٌ من الله Ĵ ، ا وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ا ، إذن هم يكرهون ظهور الإسلام بلا شك.

أمـا سـمعتم نائبَ أحـد طَوَاغِيتهـم – نائب بابـا الفاتيكان – يقـول: « العالَـم مَهْوسٌ بالإسـلام بالرغـم من أن هنـاك أديانًا أخرى! لماذا لا ينظر النـاس فيها؟ الأديان كلها ينبغي أن تُبْحَثَ ويُنْظَرَ فيها، لكن العالَم مهووس بالإسلام!»(١).

---

(١) «مفكرة الإسلام»، الخميس ٨ جمادي الثانية ١٤٢٩ هـ.

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

عجبًا! هذا من البشارات الواقعية، وذلك – أنه رغم كراهية أعداء الإسلام الشديدة، تُؤْتِي الأرضُ تُنْقَصُ من أطرافها، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد:٤١]، وتفسيرها عند أكثر السَّلَفِ: أن الأرض ينتشر فيها الإسلام، وَيَقِلُّ فيها الشِّرْكُ حتى يُطْرَدَ بعد ذلك من الأرض كلها – إن شاء الله –.

فالإسلام يظهر وينتصر، وأعداء الإسلام يكرهون ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، فيظهر نور الله، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ [الصف:٨]. إذن لابد أن يتمَّ النور.

ųÊ5Ëǩ ǨШÆqsǯǩł

وَعْدٌ قَدَرِيَ، وأمرٌ شَرْعِيّ

المستقبل للإسلام، عقيدةٌ من القرآن العظيم لابد أن يُوقِنَ بها كل مسلم، مهما كانت موازين القُوَى في غير صالح المسلمين؛ فإنما هي أمور مادِّية يوشك أن يغيِّرها الله ﷻ حِين يُوجَد مَن يستحق أن يُغَيَّرَ وجهُ الحياة على ظهر الأرض من أجلهم، وحين يُوجد أهل الصفات التي ذكرها الله في القرآن **وهذا جواب (كيف الطريق؟ كيف نصل إلى تحقيق هذا المستقبل؟)**

هذا المستقبل ليس – فقط – موعودًا به، بل هو – أيضًا – مأمورٌ به، لا ينبغي أن ننتظره دون عمل منا، بل كما اسْتَغَلَّ المؤمنون فرصةَ ظُلمة الليل في عبادة الله وهم يُوقِنُونَ أن الشمس ستطلع لمزيد من العبادة وأنواع أخرى من العبادة؛ فكذلك فَلْيَسْتَغِلَّ أَهلُ الإيمان ظُلمةَ الليل – أعني ظهور الكفر والشِّرك والنِّفاق في الأرض – لِيَسْبِقُوا إلى الله ﷻ: « مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»[1]، و (الدُّلْجَة): هي السير بالليل، فمن سار

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «الجامع» (٦٢٢٢).

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

إلى الله قبل أن يسـير الناس، وقبل أن تَطْلُعَ شَمسُ الإسلام على الأرض؛ سَبَق إلى الله.

وإلا فَبِمَ سَبَق المهاجرون؟ وبِمَ سَبَق الأنصار؟

سَبَق المهاجرون العالَم كلَّه بأنهم كانوا هم الإسلام، والأرضُ كلها تطاردهم، وسَبَق الأنصار لأنهم آووا ونَصروا.

سبق المهاجـرون والأنصـار لأنهـم أَدْلَجُوا، لأنهم سـاروا والعالَم كلُّه في ظلام، سـاروا إلى الله فسبقوا إليه ﷻ، وذلك أنهم خافـوا أن يُدْرَكوُا «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَـنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»، فمَن أَدْلَجَ سَـبَقَ. والناس كلها سوف تسير حين تطلع الشمس، ولكن نريد أن نَسْـبِقَ ونَسْتَغِلَّ فترة الظلام، فهي مفيدة لأهل الإيمان لو وَعَوْا.

كما ذَكَرْنَا: وعدٌ وأمرٌ، لا بد أن نلتزم الشَّـرْعَ، ولابد أن نعمل مـن أجل تحقيـق هذا الوعـد لأن الله - بكرم منـه - عز وجل - لعبـاده المؤمنيـن - جعـل هـذا الوعـد يتم من خـلال عملهم، وسَـعْيهم، وجهادهم، وأمرهم بالمعـروف، ونهيهم عن المنكر، وصبرهم واحتسابهم، ودعوتهم إلى الله، وسلوكِهم طريقَ الحق، والتزامِهم شَرْعَ الله في فترة لا يلتزم فيها الناس.

:ŬɫƸĐŽp ĄλƸŰ

ومـا زال الإسـلامُ مطـاردًا وغريبًا في حقيقة الأمـر لمن تدبَّر وعلـم مبادِئـهُ وأصولَه وفروعَـه التي تمثِّل نقطَ افـتراق بيه وبين الحضارات الأخرى التي تمثِّل أعداءَ الإسلام؛ وهي في الحقيقة ليسـت حضارات، وإن كانت عندها من الإمكانيات، فهي تمثِّل مَنْهَجًـا آخر، بل مناهج أخرى، تمثِّل مـا ذَكَرَ الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فهناك مَفترَقاتُ طُرق، مسائلُ عُظمَى وكُبْرَى عظَّمها القرآن، فحين يفهمها ويلتزمها السـائرون إلى الله يكون ذلك منهم سَبْقًا إلى الله ﷻ، فيتحمَّلون الغُربة؛ فإنَّ الشـعور بالغَربة شعورٌ شاقٌّ، شـعورٌ مِـن أجله يَكفر أكثرُ أهـل الأرض؛ لأنهـم لا يحتملونه، فالمرء يريد أن يكون متوافقًا مع من حَوله - إلا مَن رَحِمَ ربي -، ولا يحتمـل أن يَنْتَقِدَهُ كلُ مَن حولـه ويَطْعَنَ فيه ويَتَّهِمَهُ بالجُنون أو السِّحرِ أو الشِّعْرِ وغير ذلك.

فالشـعور بالغُربة مؤلم للإنسـان، وأكثر الناس اتخذوا أوثانًا مَوَدَّة بينهم في الحياة الدنيا، قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات ١٤٤٦

يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ا [العنكبوت:٢٥]. ولماذا كفروا؟ لماذا عَبَدُوا البَقَرَ والأحجارَ والجعارين والحيَّاتِ؟ هذه تماثيل الفراعنة تشهد على أنهم عَبَدُوا الحيات، وعَبدوا العُجُول، وعُبدوا الثعابين، وعبدوا البَشَرَ – والعياذ بالله –، عَبدوا مَن مات وصار جِيفةً أمامهم، واخترعوا أنواع الآلهة لكل شيء، هذه تماثيل اليونان تشهد بأنهم عَبَدُوا الأوثان، وتماثيل أهل الهِنْدِ وآثارهم تشهد كيف كفروا بالله Ĵ ، وهذه فَلسَفَتُهُمْ وعقائدهم التي مازالت موجودة، حتى يفتخر بعض كبارهم بأن عقيدتهم هي مَزْجٌ بين الفلسفة اليونانية وبين عقيدة المسيح! وهي بالفعل كذلك.

Ýǯǩǫǻǜǚ ǆǿǵ ǂǭǵǦ ǂǨǩǟ Ďěǫǧ

الجواب: أنهم عَبَدُوهَا مَوَدَّةَ بينهم في الحياة الدنيا؛ لأنهم لم يحتملوا الغُربة؛ لأن الغُربة شعور مؤلمٌ أكثرُ الناس لا يحتملونه، فيريدون أن يَتَوافَقُوا مع مَن حولهم ولو كان في سَخَطِ الله، ولسان حالهم: (نريد أن نكون كما الناس كائنون، هل نحن الذين سَنُغَيِّر الكَوْنَ؟! كل الناس على ذلك فنحن إذن على هذا)!

لا، قال رسول الله Ý : « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ

غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١). سعداء هؤلاء الغرباء! وإن كانوا في ظَنِّ الناس متألِّمِين متضرِّرين، لكنهم سعداء؛ لأن الرسول Ý قال: «طُوبَى لهم»، حُسْنَى لهم، سَعَادة لهم، أن يكونوا غرباء في طاعة الله Ĵ .

الغرض المقصود: أنَّ الله Ĵ أخبر بكَرَاهَة الكارهين، وأخبر بأنه يُتِمُّ نُورَه، قال Ĵ : ا هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ا ، وقال Ĵ : ا إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ا [الأنفال:٣٦].

:ηǿǯǪƒ ηǽǨǶǻ

سبحان الله! تَأَمَّلْ، إنَّ النهاية لهذا الصراع حتميَّة، ولابد أن تكون كما قال الله Ĵ : ا إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ا ، تكون عليهم حسرةٌ حين يشهدون أنَّ الأموالَ تُنْفَقُ ولا نتيجة، بل النتائج عكسيَّة، أموالٌ تُنْفَقُ وجهودٌ تُبْذَلُ، ومَكْرٌ بالليل والنهار، والنتيجة العكس، ا وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ

(١) رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة Ç .

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات ٠١١٢٠٠٤٦١٤٦

بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾ [الفرقان:٣١].

يريـدون أن يُضِلُّوا الناس فيهديهم الله، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾، يريـدون هزيمةَ الإسـلام فينصر الله عبـادَه المؤمنين، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾، يَـرَوْنَ الحسـرةَ رغـم كلِّ الجهـود المبذولة، رَغم تَفَـاوُتِ القُوَى المادية، فالاتجاه يسير بالعكس، والناس يدخلون في الدين رغم الصعوبات والعقبات، ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَ ﴾.

وتأمَّل ﴿ ثُمَّ ﴾ في هذا الموطن وتفكَّر فيها؛ لأن ﴿ ثُمَّ ﴾ تفيد الترتيـب مـع التراخي؛ فلا تَسْتَعْجِلْ، قد قـال الله Ĵ لنبيه Ý : ﴿ وَلَا تَسۡتَعۡجِل ﴾ [الأحقـاف:٣٥]. لا تَقُـلْ: متـى، لا تَقُلْ: قد بَلَغَ الأمر مَدَاهُ فنحن نريد نصرًا عاجلًا؛ فالله أعلم، أيُّ الحالَيْنِ أفضل لك أيها المؤمن، حال الليل المظلِم الذي تَعْبُدُ الله فيه سابقًا إليه، أم حال النهار المشرق حين يسير الناس كلهم في الطاعة؟!

وأكثرنا يفضِّل السَّهْلَ، وقد قال الله Ĵ في عِتَاب أصحاب نبيِّه Ý في اختيار السهل – وكان مجرَّد خاطرٍ قلبي، أمرٍ قلبي مَرَّ على قلوبهـم: أنهم يريدون العِيرَ لا النَّفِيـر، وذلك في غزوة بدر – قال الله Ĵ : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ

دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [الأنفال:٧-٨].

وكما أنَّ الله Ĵ أعلمُ بما هو الخير لنا، فترة الظُّلمة والإحراق، أم فترة النور والإشـراق؟ فالله Ĵ يسـتعمل عبـادَه لمؤمنين كما يشـاء، وقد وَعَدَ Ĵ عبادَه المؤمنين بنصره وتأييده، فقال في بيان حال الكفـار ومآلهـم: ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ ﴾، إذن مُـدّة قـد تمرُّ، ثم تتراخى، مـدة لا نعلم قَدْرَها، نفـوِّض أمرنا إلـى الله، لكن النهايـة: ﴿ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾.

DŽǾŢǯǷǩŁ ǰ ǫ yʎè:

فإذا قيل؟ لماذا قدَّر الله ذلك؟

فالجـواب: قولُه تعالـى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال:٣٧-٤٠].

كل آية من هذه الآيات متضمِّنة لبشارات. وقولُه تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ بشارة مستقلَّة: أنَّه مولانا، ناصرُنا، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:١١]، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الذي أخبر الله ﷻ به في قوله: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد:١٠] أي: من أمثال الهلاك الذي أصاب الكافرين قبل ذلك، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾.

إذن القضية – كما ذكرنا – قضية عَقديّة محسومة لدَى أهل الإسلام، أنَّ الإسلام ظاهر، وأنَّ الكفار سَيُغْلَبُونَ، وأنَّ الله جعل ذلك ليجمع الخبيثَ بعضه على بعض، ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧]، لأنه لو ظهر الإسلام أولًا لدخل الخُبَثَاء دون أن يتطهروا، وأظهَروا أنهم متطهِّرون وتابعون لهذا الدين؛ فيَجعل اللهُ فترة المِحَنِ وإنفاق الكفار أموالهم لِيَظْهَرَ النِّفاق ويَنْجُمَ، ويبيع دينَه مَن يبيع، ويتخذ الكافرين أولياءَ مَن يتخذ، فيجتمع الباطل بعضه مع بعض، ثم يُذهبه الله جميعًا: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى

جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧].

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١ – ١٧٣]. سَبقت كلمةٌ مِن الله ﷻ – لا تبديل لها – أنَّ جُنْدُ الله هم الغالبون، ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾، الرسل منصورون، وإن مات منهم مَن مَات وقُتِل مَن قُتل، لكن دعوتهم تنتصر، وهذا واقع لا محالة، حتى لو قُتل مَنْ قتل مِن الرسل وأتباع الرسل، فضلًا عن أن يُصابوا بما دون القتل، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة:٥]. فالله ﷻ كَبَتَهُمْ، ولابد أن يَكْبِتَهُمْ. لأنهم يُحادُّون الله ورسوله ﷺ.

وقال ﷻ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢١]، فلا يمكن أن يقع خلاف هذه الكتابة.

وهذه الآيات في نصر الله ﷻ لرسله.

وقد قال ﷺ: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣]. فهذه بشارة لكل نصرٍ نَصَرَ الله به أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده الصالحين، فهي بشارة للمؤمنين؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

ŋǄşǨŦ ǰǭ ƟŧƷƘǂƛ

وفي سُنَّةِ رسول الله Ý ، قال النبي Ý في الحديث الصحيح: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الْإِسلَامِ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[١].

قولـه Ý : « لَيَبْلُغَنَّ هَـذَا الْأَمْرُ» أي: هذا الدِّين، « مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ» أي: كلَّ شِبْرٍ في الكرة الأضية؛ لأنَّ كل جزء من الأرض يبلغه الليل والنهـار، «وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ» وهو البيت المبنيّ مِن الطِّين والحجارة، « وَلَا وَبَرٍ» وهي بيوت الشَّعر في الصَّحْرَاءِ كبيـوت الأعـراب، « إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِـزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الْإِسـلَامَ، وَذُلًّا يُـذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ» كما وعد الله Ĝ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨].

إذن سـوف تظهر هذه العِزَّةُ، ولابد أن يُذِلَّ اللهُ الكفرَ، وينصر ويُعِزَّ عبادَه المؤمنين.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٠١) من حديث تَمِيمِ الدَّارِيِّ Ç ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣).

وقال النبي Ý : « بُعِثْتُ بِالسَّـيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة؛ لِيُعْبَدَ الله Ĵ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لهُ، وجُعِلَ رزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّـةُ والصَّغَـار عَلَـى مَنْ خَالَـفَ أَمْرِي. وَمَنْ تَشَـبَّهَ بِقَـوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[١].

قولـه Ý : «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بينَ يدي السـاعةَ» أي: قريبًا من الساعة، فقد بُعِثَ Ý هو والسّاعة كهاتين -السَّبَّابَة والوُسْطَى-[٢]، ليس بينهما شيء كما أنه ليس بين السبابة والوسطى أُصْبُعٌ آخر.

وهـو Ý مِـن أشـراط السـاعة، وبَعْثَتُه من أشـراط السـاعة وظهور عبادة الله في الأرض من أشراط الساعة.

قوله Ý : « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ»، فهو بُعِثَ بالسيف Ý ، وبُعِثَ بالجهاد في سبيل الله؛ حتى يَنتشر هذا النور بفضل الله Ĵ .

قولـه Ý : «وجُعِـلَ رزْقِي تَحْتَ ظِـلِّ رُمْحِي، وَجُعِـلَ الذِّلَّةُ والصَّغَـار عَلَـى مَـنْ خَالَفَ أَمْرِي» فـرِزْقُ رسـول الله Ý أَعْلَى

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) من حديث عبد الله بن عمر Ç ، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك Ç قال: قال رسول الله Ý : «بعثت أنا والساعة كهاتين» قال: وضم السبابة والوسطى.

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

أنـواع الرزق فضلًا، وهو ما جَعَـلَ اللهُ له مِن غنائـم، ورِزْقُ أُمَّتِهِ مرتبط بذلك، وقد جَعَلَ اللهُ أُمَّتَهُ مِن أغنى الأمم بشرط أن يقوموا بذلك.

قـال Ý : «وَجُعِـلَ الذِّلَّةُ والصَّغَـار عَلَى مَنْ خَالَـفَ أَمْرِي» وهذه بشـارة مستقلَّة، فكل مَن خالف أمرَ النبي Ý لابد أن يَذِلَّ وأن يَصْغَرَ، لابد أن يَنْزِلَ ويَسْفُلَ، ويُحْتَقَرَ ويُهَانَ؛ لِمَا خالف مِن أمر رسول الله Ý .

قولـه Ý : «وَمِـنْ تَشَـبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُـوَ مِنْهُـمْ» فمَن تشبّه بأهل الإيمـان كان مِن أهل الإيمان، ومَن تشـبه بأهل الكفر كان منهم في هذا الذي تشبَّه بهم فيه: إن كان كفرًا فكفر، وإن كان معصية فهو منهم في هذا القَدْرِ المشترك وهو على خطر عظيم.

لذلـك نقـول: الكتـاب والسُّـنة يَـدُلَّانِ علـى أن المسـتقبل للإسـلام، لابـد أن نُوقِنَ بذلـك. والواقع يشـهد، فنحن نرى – بفضل الله Ĵ – أنَّ الأُمَّةَ الإسلامية لا تموت أبدًا، لا تموت كأُمَّةٍ مهما هُزِمـت وغُلِبَتْ، دَمَّرَ أعداؤها بلادًا بأسْـرِهَا وأبادوا أهلَها مرات، ومع ذلك بَقِيَتِ الأُمة وعاد لها عِزُّها – بإذن الله –.

لذلـك نستبشـر حين نـرى الصـراعَ يَحْتَدِمُ، ومهمـا كان من

ضحايـا ومِن آلام، فهذا يؤكِّد عودة الأمةُ إلى دينها؛ لأن الأعداء يمكـرون بالليل والنهـار ليصرفوا الناس عن ديـن الله Ĵ بأنواع الصَّـرْفِ المختلفة، وليوقعوا الفُرقـة والاختلاف بين أبناء الأمة الواحـدة وأهـل الدين الواحد؛ لأنهم يعلمـون أن ذلك هو الذي يَفُـتُّ في عَضُـدِ الأُمَّة؛ ولذا يَسْـعَوْنَ في نشـر البـدع والضلالات والمناهـج المنحرفـة التـي تحاول عنـد مفترَق الطُّـرق أن تميِّع الصـورة والقضية؛ لكي لا تنضـج معالم الطريق، ولكي لا يظهر منهج الإسـلام متميـزًا ومنفصلًا، ومتبرِّئًا مـن المناهج الأخرى الباطلـة التي هي مِن صُنع البشـر، ومـن زبالة أفكارهـم وحُثَالَةِ أذهانهم.

فمفترَقـات الطُّرق لابد أن تكون واضحةٌ لدَى كلِّ أخٍ مسـلم وأُخـت مسـلمة ولابـد، حتـى لا تختلط الأمـور، وكمـا ذكرنا أن أعـداء الإسـلام يحاولـون ويبذلـون ويفرِّقـون، ولكـن أهل الإسـلام يتمسَّـكون – بفضل الله Ĵ – بما كان عليه النبي Ý ، وهـذا سـبب نجاتهـم؛ لأن الرسـول Ý أخْبَـرَ بالافـتراق فقـال Ý : «وَتَفْتَـرِقُ أُمَّتِـى عَلَـى ثَـلاَثٍ وَسَـبْعِينَ مِلَّـةً كُلُّهُـمْ فِـى النَّـارِ إِلاَّ مِلَّـةً وَاحِـدَةً» قَالُـوا: وَمَنْ هِـىَ يَا رَسُـولَ اللهِ قَالَ:

«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[١].

هم الذين يعظِّمون ما عظَّمه الكتاب والسُّنَّة وأصحاب رسول الله Ý ويحقرون ما حُقر في الكتاب والسُّنة وعند أصحاب رسول الله Ý، يستدلُّون بمناهج الاستدلال التي عند الصحابة Ç: الآيات والأحاديث والإجماع، وهكذا يعرفون كيف يفهمون النصوص كَفَهْمِ هؤلاء الصحابة Ç، ومَن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

الغرض المقصود: أنَّ مِن الشواهد التي نراها ما يقع لأعداء الله Ĵ مِن الخَيْبَةِ والخُسران رغم مكرهم بالليل والنهار.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو Ç، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٥٣).

ŭāłŇǩł J̌ǭ ΘĶǿƸ‡ǩ

ونحن – والله – نشاهد الآن أمثلةً لما كان يُشَاهَد في الأمم السابقة، مِن مهلِكَاتٍ للأمم، وآثارِ حربِ الله Ĵ لهم، وقد كانت تُرى يَفصل بينهما ربما قُرون طويلة، ترى ربما في العُمر الواحد مرة، أما الآن ففي عُمر الواحد منا يشاهد طوفانًا يشبه الطوفان الذي أغرق الله به قوم نُوح، ويشاهد الناس أعاصيرَ تشبه الرِّيحَ الصَّرْصَرَ التي أرسلها الله على عَادٍ، ويشاهد المسلمون آثار حرب الله Ĵ لمن تعامل بالرِّبَا وأنواع المفاسد والضَّرَرِ الذي ينزل بهم حتى أوشكوا أن يُلْغُوا الرِّبَا

الفائدة الرِّبَوِيَّة – مثلًا – خُفِّضَتْ في البنوك الكبرى الأمريكية بالأمس[١] إلى ٥ ,١٪؛ لأنهم لا يستطيعون أن يَصِلُوا بها إلى الصِّفْرِ، وفي الحقيقة أنَّ نسبة ٥ ,١٪ هذه قريبة من المصاريف الإدارية، بل أقل من المصاريف الإدارية، التي تشمل مصاريف إقامة المؤسَّسات المالية، ومصاريف العاملين في هذه المؤسسات والمباني، ونفقاتها، ٥ ,١٪ هذه ليست بفائدة معتبَرة، بل تكاد تصل إلى الصفر، وهو إلغاء للرِّبَا في الحقيقة، وإن كانوا

---

(١) كان هذا وقت إلقاء المحاضرة يوم الجمعة ٢/ ١١/ ١٤٢٩هـ.

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات ٠١٢٠٠٤١٤٦

يُصِرُّون على الإنقاذ وهو لن يحدث؛ لأنها حرب من الله ﷻ، نعم يمكن أن يُدَاوَى مؤقتًا، ولكن نهايته كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨ - ٢٧٩]، إذا كان المؤمنون لو لم يفعلوا لَأُوذِنُوا - أي لَأُعْلِموا - بحرب من الله ورسوله ﷺ، فكيف بالكفار وأعداء الإسلام ومَن يسير على طريقتهم مِن المنافقين؟! نسأل الله العافية.

والله إنَّ ذلك كلَّه مِن المبشِّرات، وما يتلفَّظ به الأعداء مِن أنَّ الإسلام هو الذي ينتشر بالدرجة الأولَى وفي الأرض كلها.

وهم يَرَوْنَ ذلك، فالناس يزرعون حبةً فتخرج سبع سَنَابِلَ، فِي كلِّ سُنْبُلَةٍ مائة حبةٍ، ويحصدون سبعمائة. وفي أعمالهم يرون إهلَاك الله للأمم وتدميرَه للدُّولِ وتقليبَه للأفراد والمُلوك، وَمَن كَثُرَ فسادُه فالله ينتقم منهم أمام أعينهم، ألا تَرَوْنَ إلى هذا المجرم الذي قَضَي عمرَه في سَفْكِ دماء المسلمين (شارون) وهو يُعذَّب منذ ثلاث سنين [1]، لا يموت ولا يَحْيَا؟! وهذا من آيات الله.

(١) كان هذ وقت إلقاء المحاضرة أيضًا.

ودماء المسلمين التي يَظُنُّونَها رخيصةً هي عند الله غالية، وهو ﷻ الذي ينتصر لهم، وهو الثائر لهم ﷻ، هو الذي يأخذ حقَّهم ولا يُضيع حقَّ المؤمنين، ودَمُ الواحد كحُرمة البيت الحرام، في الشَّهر الحرام، في أعظم لأيام حُرمة عند الله، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»[1] قاله يوم النَّحْرِ أعظم الأيام حُرمة عند الله.

هل تظنُّون دماءَ المسلمين رخيصة؟! وإنْ سُفِكَتْ أنْهارًا لكن الله ينتقم من الأمم والأفراد الذين سَفَكُوا دماءهم.

وأنت ترى والله عَجَبًا، ترى أممًا أبادت من المسلمين ملايين - بدون مبالغة -، وبعد ذلك بَادَتْ هذه الأممُ، وعاد الإسلام كما كان! (الاتِّحاد السوفيتي) مثلًا، كان أكبر دولة من جهة المساحة ومن جهة أعداد السكان، وأكبر دولة سفكت دماء المسلمين، وكان القرآن محرَّمًا، فلو وُجِدَ مصحفٌ عند إنسانٍ نُفِيَ إلى (سيبريا) إن لم يُقتل فَورًا، وكان الناس إنما يتدارسون القرآن في قبوٍ، يدخل أحدهم إليه ستة أشهر لا يَرَى الشمس نهائيًا ليتعلم شيئًا من القرآن! ومع ذلك عاد الناس إلى الإسلام! عجبٌ والله

(١) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

تراه في كل مكان، فهذه مبشِّرات لا يمكن أن تُغْفَل.

وكمـا ذكرنا أنهم يَذْكُـرُونُ أن أكثرَ الأديان انتشـارًا في العالَم هو الإسلام، والأديان الأخرى تتراجع، أو تنتشر انتشارًا ضعيفًا، والإسلام هو أول هذه الأديان انتشارًا بفضل الله Ĵ .

فلذلـك نقـول: هـذا وَعْـدٌ مـن الله Ĵ وهـذه آياتُـه يراهـا كلُّ ناظر.

:DƘDzƜǩƗ yǾǾǂɊǩ ƟƘǾǬǬǩƗ ţÊDžF

ينبغي أن نسـأل أنفسـنا كما ذكرنا، نريـد الجزء الذي يختص بنا، وإن كان الجزء الأول – وهو ان المستقبل للإسلام – خاص باعتقادنا، خـاص بإيماننا بالله Ĵ الذي صَـدَقَ ‖ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ا [آل عمران:٩٥]؛ إذن لابـد أن نوقـن بذلك، وَصَدَقَ رسـولُه Ý ، وهـذا لابد أن نُوقِنَ به كذلك، فهذا جزء إيماني وعمل قلبي لابد منـه، والجزء الآخر: أننا نريـد أن نعرف كيف نصل؟ كما ذكرنا: وعدٌ وأمرٌ.

هذا مِن أهم لأمور، أن نفكِّر في دَوْرِنَا، لابد ن يكون لك دَوْرٌ، لابد أن تكون خطواتٍ على الطريق، لابد أن تكون لَّبِنَةً صالحةً، وإن لم تُصْلِحْ نفسَـك هل سَيَضَعُكَ البَنَّاءُ في ضمن الجدار أو في ضمن الأعمدة؟!

ولو كان جانبٌ مفقـودًا مِن اللَّبِنَةِ أو كانت فارغةً مِن الداخل فلـن يضعهـا البَنَّـاءُ أيضًـا في البِنَاء، فلـو كانت اللبنة مسـتويةً في الخارج وفي الداخل خَوَاء لا تَصْلُح.

:ÆǵηϸÊŘǩƗ ηƮǩǨdžǩƗ ηǾǬǬǩƗ ƗǁƗŇΣƿ

الإسـلام، والإيمـان، والإحسـان. ولابـد أن تحقُّـق هـذه الجوانب الثلاثة التي بيَّنها الرسول Ý وقال: إنها الدِّين.

الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، علمًا وعملًا، (إيمان بالله وكُفر بالطاغوت، واتِّباع لرسـول الله Ý)، وإقَـام الصلاة، وإِيتَاء الزَّكَاة، وصَـوْم رَمَضَان، وحج البيت لمن اسـتطاع إلي سـبيلاً. لابـد أن تتعلّم هذه الأمـور واحدة واحدة، تتفقّه فيها واحدة واحدة، مسـألة مسـألة، لا يَمُرُّ عليك يومٌ دون أن تتعلم شيئًا مِن هذه الأمور.

ثـم إنَّ هذه أركَانُ الإسـلام، وهل يكون البِنَـاءُ أعمدةً فقط؟ أم أنه أعمدة وجدران وسُـقُف وأبواب وكهرباء ولوازم أخرى؟ لابد من اللوازم الأخرى.

نريد إذن أن نقول: هذه اللوازم تَتِمَّةُ الإسلام، التي هي أبواب المعامـلات: التزام الحلال واجتناب الحرام، أن تؤدِّيَ الواجب في بيتك مع أسـرتك، أن تتعلّـم فِقْهَ الـزَّوْجِ والأَبِ، والأُمُّ تتعلم

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات ٠١٠٠٤١٦٤١١

الفِقـه اللازم في ذلـك، ويتعلَّمون جميعًا ما يلزمهم من حقوق في البيع، والشـراء، والإجارة، والشَّـرِكَة، والمَضَارَبَة، يتعلَّمون فِقه المعاملة بالمال التي يُثْقَلُ ظهر الملتزمين للشرع بسببها، التي ناء بها حِمْلُ الالتزام بسبب عدم الالتزام الصادق في المعاملات، إمَّا بالجهل وإمَّا بعد العِلم بَغْيًا بينهم!

لذلـك نقـول: لابد مـن الالتـزام بالفِقـه في العبـادة والعمل بذلـك وأدائهـا على ما يحـبُّ الله، والفِقـه كذلـك في المعاملة، ففـي مسـائل الميراث – مثـلًا – لا يَزَال في كثير مـن البلاد ظلم المـرأة في الميـراث، ولا يَزَال ظُلـم الصِّغار، ولا يَـزَال ظُلم كل قادر للضعيف، هذه جوانب من جوانب الإسـلام لابد أن تُتَمَّم، وهكذا قُلْ في جميع الأبواب المختلفة، التي ما زال الالتزام فيها قِشْرَةٌ ولم يدخل في العُمْقِ.

ثم لابد من الإيمان: بالله والملائكة والكتب والرسـل واليوم الآخر والقَدرِ خيرِه وشرِّه.

هذه هي المسائل الكبرى التي لابد أن نَشْغَلَ بها حياتَنا.

لا تَنْشَـغِلْ بغير الطريق، لا تنشـغلْ بمسـائل ليسـت هي هذه الأصول التي بيَّنها الرسول Ý .

ونحـن نَـرى الدنيا تُقَـامُ وتُقْعَدُ على مسـائل محـدودة، هي مسـائل من العلـم، ولها أدِلَّتهـا ولها مباحثها، وبعضهـا له فائدة بلا شـك، ولكنه محدود الفائدة، فضلًا عـن المباحث المَنْطِقِيَّة والمسائل الكَلَامِيَّة.

:ŋǩƎƨǫ ŋǩƎƨǫ ǨǶǢǣƬǅ ǯǫ yʎè ǯǨǯǽâł ǵǸǳǯ ǯǫ ǬǫǕǨə

تؤمـن بالله: بأسـمائه وصفاتـه، ورُبُوبِيَّتـه، وإلَهِيَّتِـه، وتُحِّبُّ في الله، وتبغـض في الله، وتُوَالـي في الله وتُعـادِي في الله، وتَتَحَاكَم إلَـى شـرع الله Ĵ ، ولا تَتَّخِـذُ أنـدادًا مـن دون الله تحبُّهم كَحُبِّ الله... وهكـذا، تَحقَّق التوحيد كاملًا بأنواعـه المختلفة وأجزائه المختلفـة. وكذلـك تَتْـرُك الشِّـرْكَ، وتتعلَّـم مظاهـرَه وتتركها، وأنواعَه وتتركها، الأكبرَ منها والأصغرَ.

ولابـد أن تتمم جوانب الإيمان بالملائكـة: ليس فقط معرفة بعض المسـائل عنهم، ولكن أن تحبَّهم، وأن تَشْـعُرَ بوجودهم، وأن تستشـعر صُحبتهم، وتَسـعى في إكرامهم، وأن تتشـبّه بهم في عبادتهم لله Ĵ ، وقد ذَكَرَ الله لك في القرآن مِن أنواع أعمال الملائكة ما يجعلك دائمًا تستشعر وجودَهم، وكذا ذَكَرَ النبيُّ Ý .

الإيمان بالرُّسُـل: لابد أن نَسْتَضِيءَ بالسُّـرُج المنيرة، الرُّسُلِ

– صلوت الله وسلامه عليهم أجمعين – وقد فسرت سيرتهم في القرآن بأوضح طريقة وأنصع بيان .

لتعرف الصفات الرائعة المبهرة الجميلة، قف عند أخلاق الرسل – صلوت الله وسلامه عليهم أجمعين – المذكورة في قِصَصِهم المختلفة. تَأمَّلَ أخلاقَ نُوحٍ وصفاته وصبره وشكره ودعوته إلى الله والمبادِئَ الراسخة التي أَصَّلَها في الدعوة إلى الله ﷻ ، وفي بناء المجتمع المسلم من جديد؛ حتى يُبْنَى على خلاف الجاهلية، وكذلك ما كانَ مِن إِبْرَاهِيمَ ﷻ ، و مِن مُوسَى ﷻ ، ومِن يَعْقُوبَ، ويُوسُفَ، ومِن سائر الأنبياء. مَوَاقِفُهم مبذولةٌ مجَّانًا، وقَصَصُهم في القرآن يوضِّح لك حقائقَ سُلُوكِهم.

الإيمان بالكُتُب: ومبادِئُ هذه الكتب في القرآن العظيم، فقد جَمعها القرآن؛ لذلك مَن آمَنَ بالقرآن آمَنَ بالكتب، وهو يؤمن بالكتب السابقة إجمالًا، وبما ورد في القرآن عنها تفصيلًا، وكذلك يؤمن بكل آية من القرآن ويقف عندها يتدبَّرها ليؤمن بها ويعمل بها، وهذا هو الواجب عليه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

الإيمان بالبوم الآخِر: معرفة تفاصيل ذلك، والعمل به،

والاستعداد له، والتفكُّر فيه.

كيف نصل إلى الإخلاص؟ بكثرة الفِكر في اليوم الآخر وذِكر يوم اللِّقاء. وهذا الذي يرغِّبنا في العمل لله ﷻ ، ويرغِّبنا في العمل مِن أجل نُصرة دينه.

الإيمان بالقَدَرِ كذلك: لابد منه في كل لحظةٍ من لحظات حياتنا، تحتاجه لِيُثْمِرَ لك الرضا، والتوكُّل، والافتقار إلى الله ﷻ ، ويثمر لك – أيضًا – النجاة من الأمراض الإِبْلِيسِيَّة: كالفَخْرِ، والِاخْتِيَالِ، والعُجْبِ، والتكبُّر على الناس، والبُخْلِ، والجُبْنِ، كلها خِصال مذمومة، ونعاني معاناةٌ شديدة في التخلُّص مِن هذه الأمراض؛ والسبب هو ضعف الإيمان أو عدمالإيمان بهذه الأصول وخصوصًا ما يتعلَّق بالإيمان بالقَضَاءِ والقَدَرِ، ولها مواضعها المفصَّلة.

وهذا الذي ينبغي أن نَنْشَغِلَ به، لا مجرد مسائل كلامية كما ذكرت، هذه جوانب اللَّبِنَة، لابد أن تُسَوَّى مِن كل الجوانب، وتكون ممتلئةً مِن الداخل كما هي في الظاهر، لا أن تكون مدهونةً إسلاميًا والباطن ليس إسلاميًا، والإسلاميُّ حتى يكونَ إسلاميًا لابد أن يكون إسلاميًّا مِن الظاهر والباطن.

:ǮǨʂfâł łǄǨΣ Ǹǵ ƤǩǨɌǩł łǄǨʅǩł

الإحسان بينك وبين الله:

بـ «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، مراقبةً لله Ĵ ، وإخلاصًا له Ĵ ، «فَـإِنْ لَـمْ تَكُنْ تَـرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك»[1]، إشـارةٌ إلـى الإخلاص الذي هـو أصـل العبـادات ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، وإشارةٌ إلى مراقبةِ الرَّبِّ Ĵ دائمًا في أنواع العبادات. وتَهْتَمَّ بِكلِّ الأعمالِ القلبيّة وتُصْلِح قَلْبَك؛ فَيُثْمِر هذا لك:

الإحسانَ بينك وبين الناس، والإحسان في معاملتك للخَلْقِ؛ لأنـك صِرْتَ غَنِيًّـا بالله، فَهَانَ عليك أن تَبـذل دنياك، هان عليك أن تَبذل شـيئًا يسـيرًا مِن جَناح البَعُوضَةِ، فَهُـمْ إن اختلفوا معك على جزءٍ من الدنيا فإنما يختلفون على جزء من جَنَاح البَعُوضَة، فكل الدنيا جزء من جناح بعوضة؛ لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة!.

فلو أنَّ الإنسـان اقترب مِـن الله، وارتفع حتى صـارت الدنيا عنـده كذلـك، هانَ عليه أن يبذلها، وسَـهُلَ عليـه أن يبذل كل ما فيهـا؛ حتى يكونَ هَيِّنًا لَيِّنًا قَرِيبًا سَـهْلًا، قال النبيُّ Ý لأصحابه:

(١) رواه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة Ç

«أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله: قَالَ: «عَلَـى كُلِّ هَيِّـنٍ لَيِّـنٍ قَرِيبٍ سَـهْلٍ»[1]. «قَرِيـب» أي: قريب من الناس.

انظـروا وقارِنُـوا بيـن الخِصَـال المذكـورة في الحديث وبين خِصَالِنـا نحـن، وفي معاملاتنـا نحن! صفـاتٌ عظيمةٌ هـي مِرْآة الإيمـان في الحقيقة؛ لأن الرسـول Ý قـال: « أَكْمَـلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُم أَخْلاقًا»[2].

الأخـلاق والسُّـلُوك! هذا الذي نُعاني منـه لا يمكن ان يكون مِـرْآة للباطن؛ فلذلك إذا اكتمل الإحسـانُ في الباطن ظَهَرَ أثرُه في السُّـلُوكِ وفِي معاملةِ الخَلْقِ، وسوف يظهر أثرُه في الإحسان إلى الناس، « وَخالِقِ النَّاس بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

وَتَقْـوَى الله وحُسْـنُ الخُلُقِ أكثرُ ما يُدْخِـلُ الناس الجنةَ، كما

(١) رواه ابن حبان (٤٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود Ç ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، (٤٤٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري Ç وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٥١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر Ç ، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

قال النبي Ý ⁽¹⁾.

وأكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ: «الفَمُ والفَرْجُ»⁽²⁾.

الفَـمُ: بالسـبِّ، والبَـذَاءَةِ، والكـذب، والغِيبَـةِ، والنَّميمَـةِ، والطَّعْـنِ، وأنواع المهلِكات باللسـان، والأكلِ الحرام مِن الرِّبَا، والمَيْسِرِ، والرِّشْوَةِ، والغَصْبِ، وأكلِ الحقوق بالباطل مِن خِيَانَةِ الناس وغِشِّهم ومِن أنواع المكاسب المحرَّمة.

والفَرْج: بالشَّهْوَةِ الجِنْسِيَّةِ التي تُهْلِكُ العالَمَ لَهْثًا وراءها، مِن خِلال مواقـع إباحِيَّة وصور – حتى علـى التليفونات المحمولة – ومجـلَّات وأفلام واسـطوانات، والشـباب يَهلـك، والرجال يهلكون، والنساء يهلكن وراء هذه الشهوة المحرَّمة! بلاءٌ عظيمٌ! نسأل اللهَ العافية، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وآمِنْ رَوْعَاتِنَا.

لذلـك نقـول: إذا اكتمَلَـتْ جوانـبُ اللَّبِنَـةِ (الإسـلام والإيمان والإحسان) وصِرْتَ أنت لَبِنَةً، لابد مِن مِلاطٍ يَضُمُّ اللَّبِنَةَ إلى اللبنةِ.

---

(١) روى الترمذي (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة Ç قال: سُئِلَ رَسُولُ الله Ý عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى الله، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ» «السلسلة الصحيحة» (٩٧٧).

(٢) وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ» «السلسلة الصحيحة» (٩٧٧)

:ŽKØDzШǪǩ ĦλÊDž ΘKǴǕǪǩƗ ǤƼKǮơ

مِنَ الناس مَنْ لا يحبُّ ولا يرضى أن تتماسك اللَّبِنَاتُ بعضُها مـع بعض، كما قال النبـي Ý : « المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُـدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبَّك Ý بين أصابعه⁽¹⁾.

هـل هناك إنسـانٌ عاقلٌ يدرِك عواقبَ الأمـور، وحياةَ الأمم، وكيـف تَتطوَّر الأمـم؟ وكيف تَقـوَى؟ وكيف تَضْعُفُ؟ يسـعى إلـى تدمير الروابط بين المسـلمين، وأن يكـون كلٌّ منهم جزيرةً مسـتقلةً، لا يُكَوِّنُـونَ جدارًا ولا سَـقْفًا ولا شـيئًا إنمـا هم بعضُ الطُّوبِ المُلْقَى؟!

لابـدَّ مِن مِلاط، ولا بـد مِن اجتماع على طاعـة الله، وتَعَاون على البِرِ والتقوى، حتى يُكَوِّنُوا بناءً راسخًا.

لابد أن نَفْقَه هذه المسائل.

هنـاك من الناس مَـن يتكلَّم كثيـرًا، ويفترقون، ويَسُـبُّ بعضُهم بعضًا، من أَجْل ماذا؟ من اجل أن يُكَوِّن كلُّ إنسان جزيرةً مستقِلَّة!

:TǬĀǩƗ ǇƷǸƼ ǬǾơƗǸƱ ğÊƱ ǰǭ ǨǲƸgƵ Ǩǭ DŽƲǬǲƿ

فنحـن نستبشـر بالفتح بـإذن الله Ĵ ؛ وذلـك أنَّ الله Ĵ أخبر

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري Ç

دار الصفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات ٠١٢٠٠٤٦١٤٦

بالوَعْد، وأخبر بالطريق المَوَصِّل في خواتيم هذه السُّورة:

قـال الله Ĵ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾

[الفتح:٢٨-٢٩].

yÜŇǩł :Åǩþàł ŋǽøł

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ .

ÝĜØǩĵ Åǽƹǎǩł ù Øg :ŋØǨŘǩł ŋǽøł

(صفات الجيل المنصور)

مـن خـلال مـا كـان الصحابـة Ç يَتَّصِفُـونَ بـه مـع رسول الله Ý .

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾ .

مِفتاح النصر: هذه العقيدة الصحيحة والاتِّباع لرسول الله Ý .

وبِقَدْرِ ما نقترب من اتِّباع هَدْيِ الرسول Ý ، بِقَدْرِ ما يتحقَّق لنا من الوَعْدِ بالنُّصْرَة والظهور، وأن يكون ظهور الإسـلام على أيدينا بإذن الله - تبارك وتعالى -.

لا أن نقلِّـد فلانًـا وفلانًا، فالتقليد دائمًا يقدح الشَّـكَّ في قلب صاحبه لأولِ عَارض من شُبهة.

فلابد أن يكون لك على كل مسألةٍ دليلك.

لا تُفكِّرْ فيما يقوله الناس، بل فكِّرْ في موقفك بين يدي الله Ĵ ، لمـاذا اتَّخـذتَ هذا الموقـف؟ لماذا رأيـتَ هذا الـرأي؟ لماذا عملـت هذا العمل؟ لمـا قلتَ هذا القول؟ هـل بِبَيِّنَةٍ من محمد رسول الله Ý مما جاء به Ý من الكتابِ والسُّنَّةِ؟ أو مما أجمع عليه سَلَفُ الأُمة؟

تحـرص أن يكون عندك بَيِّنَةٌ، ولا يكفيك أن تقول: (الشـيخ الفلاني قال، والإمام الفلاني قال)، نريد أن نَعُودَ إلى قضية الاتِّباع كما كان الصحابة Ç مع رسول الله Ý .

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ .... ﴾ .

نريد أن نكون مُتَشَبِّهِينَ بهم، هذه هـي الصِّفات التي حقَّقت

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

النصرَ لجيل الصحابة Ç ، وحقَّقت الظهورَ لهم، هذه الصفات التي كان ضَوْءُها فيهم كالشـمس، نريد أن نأخذ نصيبًا منها، ولو كضوء النجـوم. كانت صفـاتٍ واضحةً جَلِيَّة فيهـم مكتوبة عبرَ التاريخ، مكتوبة في التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ .

هل يمكن أن نَنَال شـيئًا من كلمة ﴿مَعَهُۥ﴾ هذه، أم أنَّنا فاتنا الأمرُ لأننا لم نُدْرِكْ زَمَنَهُ Ý ؟

والله يمكـن أن نكـون معه Ý ؛ لأن المعيَّةَ ليسـت – فقط – مَعِيَّةَ أبدانٍ، هناك مَعِيَّةُ رُوحٍ يمكن أن يكون لنا فيها نصيب. فاتنا أن نرى رسول الله Ý ونسمعه بأبداننا، ولكن لا يفوتنا أن نكون معه بأرواحنا، أن نكون معه نُصْرَةً وتأييدًا لِسُـنَّتِه، وتعلُّمًا لِسيرتِهِ Ý بسـماعنا للحديث دائمًا، وأن يكون مِحْوَر كلامِنا ما جاء به النبيُّ Ý .

عندما يؤلِّف التِّرْمِذِيُّ رحمه الله «سُـنَنه» ويقول: «من كان في بيتـه هذا الكتـاب فكأنما في بيته نَبِيًّا يتكلَّـم»(١)، فما بالك بما هو أَصَحَّ منه؟! « صحيحي البخاري ومسلم» مثلًا.

(١) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٦٣٤).

كَمْ مِنّا قَرَأ «صحيح البخاري» إلى الآن؟ مِنْ مِنَّا قَرَأ «صحيح مسلم» وفَهِمَه وعَلِمَ ما فيه من الأحكام؟! أمرٌ لابد منه.

نأخذ «رياض الصالحين» ونعيش معه، ونكرِّره، وفي الحقيقة – والله – لا يُسْتَغْنَى عنه بِتِكْرَارِه لما فيه من الفائدة.

وكذلك «الترغيب والترهيب»، وكُتب السُّنَّة، نعيش معها، لا أن نَدْرُسَ الـرُّوَاةِ فقط! فكثير من الناس يظنُّون أنَّ عِلم الحديث مقتصر على دراسة الرُّوَاةِ، وأين المُتَّفَقُ على صِحَّتِه؟!.

أين الناس منه اليوم؟! الناس كانوا يتبرَّكون بقراءة «البخاري ومسلم» ويستنصِرون بها على الأعداء.

ونحـن نريد أن نكون مع الرسـول Ý عندما نَدْرُسُ سِـيرَتَهُ التي هي أساسًا في القرآن، ونعرف أسباب نزول الآيات.

والمواقـف الكبرى في السِّـيرَةِ مذكورة في القـرآن، وغزوات الرسـول Ý مذكور بالتفصيل الإيمـاني، لا التفصيل التاريخي، وذِكـر الحـدث الـذي وقـع فقـط، ولكـن بالتفصيـل الإيماني، بِخَلَجَاتِ القلوب وبما وَقَعَ في النُّفُوس للصحابة Ç .

نريد أن نتعلَّم ذلك ونعيش مع الرسول Ý ؛ ليكون لنا نَصيبٌ من كلمة ﴿مَعَهُۥ﴾ ، نتشبَّه بالصحابة في المَعِيَّة.

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

المَعِيَّةُ عَبْرَ التَّاريخ وعَبْـرَ الزمانِ والمكانِ يمكن أن تحصل، قـال الله Ĵ بعـد ذِكـر نُـوح: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣]، شـيعةٌ واحدةٌ، وأُمَّـةٌ واحدة، رغم اختلاف الزمان والمكان واللسان.

نريـد أن نكـون مـع الرسـول Ý ، وعندنـا مـن الروابط ما يُوَصِّلُنا إلى الرسـول Ý بأيسـر طريق بإذن الله. ومـع الصِّدق والإخلاص سـوف يكون لنا من المَعِيَّـةِ ربما أكثر ممن كان قد شـاهده Ý ولم يدخل الإيمان قلبه، كالمنافِقِين الذين شاهدوه بأعينهم، وكلَّموه بألسنتهم، وسمعوه بآذانهم، ولم يدخل الإيمان في قلوبهـم، فهل لنا نصيبُ من هذه المَعِيَّـة التي كانت للصحابة Ç من المهاجرين والأنصار؟!

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ . نريـد أن نكـون من أهل هذه الآية كذلك.

قال الله Ĵ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

القضية لابد أن تكون من مَنْبَعِهَا أصلًا، قضية الوَلَاء والبَرَاء، الحب في الله والبغض في الله، تحبّ المؤمنين في الله فَيلين قلبُك لهم، ويَلِين لسانُك، وعلى قَدْرِ التزامهم شرعَ الله يكون حُبُّك.

المؤمنُ الذي لا تعلم عنه معصيةً تحبُّه من كل وجه، والكافرُ تبغضه من كل وجه، والمؤمن الذي عنده طاعة ومعصية أو عنده سُنَّة وبِدْعَة، يُحبُّ لإيمانِه وسُنَّتِه ويُبْغَضُ لمعصيته وبِدْعَتِه.

فهـذا ميـزان حسَّـاس لابـد أن نَـزِنَ النـاس به، ونحـب كلَّ المسـلمين وإن اختلفنـا معهـم، وننصـح لجميعهـم: بَرِّهِـم وفاجِرهم، ونبغض أعداءَ الله Ĵ من الكفار والمنافقين.

لكن أن تتحوَّل شِـدَّتنا إلى أهل الإسـلام، وأن يكون أعداؤنا -الذين نبحث عن تحذير الناس منهم والخوض فيهم وغير ذلك- هم أهل الإسلام، فضلًا عن أن يكونوا أهل الخير والطاعة وأهلَ الدِّين! فهذا خَلَلٌ.

ألَا يتكلَّم المَرْءُ عن أعداء الله الكُفَّارِ بشيء حياتَه وعمرَه، ولا يَذكُرَ اليهود والنصارى والمشـركين ولا يُعَرِّجَ عليهم كأنهم غير موجوديـن، ويتكلَّم حياتَه كلَّها في القَدْحِ في أهل الإسـلام وأهل الإيمـان وأهل الطاعة وأهـل الدعوة إلـى الله Ĵ ؛ فهذا انقلابُ

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

حالٍ، يدلُّ على أنه ليس له نصيب من هذا الوصف.

ولذلك نَحْذَر على أنفسِنا أن نكون كذلك، انظر موقفك مع أهل الإسلام والإيمان، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

أين التَّرَاحُمْ بيننا؟ لابد أن نبحث فيه.

أيـن التَّرَاحُمْ الـذي بينك وبين أهلِك؟ بينـك وبين أولادِك؟ بينك وبين أبيكَ وأُمِّكَ؟ بيك وبين جيرانك؟ بينك وبين زملائك من المسـلمين؟ لابد أن تكون كذلـك: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، وبِقَدْرِ الرحمة التي تكون في قلبك، بِقَدْرِ ما يرحمك الله، كما قال النبي ﷺ: «الرَّاحِمُـونَ يَرْحَمُهُـمُ الرَّحْمَـنُ، ارْحَمُـوا مَنْ فِـي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ»[1].

فَمَـن نَـذَرَ حياتَـه ليكون سَـلِيطَ اللسـان على أهل الإسـلام ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب:١٩] حَكَمَ على نفسِه أنه ليس بمؤمن، نسأل الله العافية.

ولا يعني ذلك أن نسـكتَ علـى صاحب معصية، وليس من رحمتنا بصاحب المعصية أو صاحب البِدْعَة أن نسكتَ عليه، بل

(١) رواه الترمذي (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢٥).

نأمره بالمعروف، وننهاه عن المنكر، بالضوابط الشـرعية التي في كتاب الله وسُنَّة رسـوله ﷺ، لكن لا أجعله كالكافر، ولا أُعامله بأسوأ مما يُعامَلُ به الكفار.

فمِـن علامات المنافِـق: أنه يَتولَّى الكافريـن دون المؤمنين، ويقـول للكافريـن إذا كان لهـم نصيـب: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤١].

فهـم يقولـون: نحـن معكم ضِدَّ مَـن كان من أهـل الإيمان والإسـلام، وإن سُمُّوا بغير ذلك في هذا الزمان من الأسماء التي تُنفِّرُ منهم: كالإرهابيِّين، والمتطرِّفين، والمُتَشَدِّدين، والمُتَزَمِّتين، وغير ذلك من أنواع التُّهَمِ التي تُكَالُ لِيُصْرَفَ الناسُ عنهم، والله ﷻ غالبٌ على أمره.

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

قضية الوَلَاء والبَراء لابد أن تكون مَطْبَقَةً عمليًا في سلوكنا وفي كلامنـا، وفي نَبَرَاتِ هذا الكلام، وفي نوعية الكلام التي نختارها، وفي معاملاتنـا في المـال، وفي الخصومـات، وفي الغضـب، وفي الرضا، كما ذكرنا.

ولتبـدأ بالأقربيـن منـك: بوالِدَيْـكَ وأهلِـك وأولادك؛ لأن

التَّرَاحُم قلَّ في هذا الزمان!

نسأل الله العافية، ونعوذ بالله من القسوَةِ والغَفْلَةِ؛ لأن القسوة من الأمراض الخطيرة اتي هي في الحقيقة نابعة من ضعف الإيمان، وقد قال النبي Ý : « وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ»(١)، فتجد القسوةُ صفةً ملازمةً للمنافقين ولليهود – والعياذ بالله– قال Ĵ : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة:١٣]، تَرَكُوا حظًا مما ذُكِّرُوا به.

فالله Ĵ جعل هذه الصفات متلازمةً، قاسي القلب هو الذي يحرِّف الكَلِمَ عن مواضعِه، ويخترع الفتاوى الباطلة، ويكذب على الله Ĵ في الدِّين، ويترك النصوصَ الواضحة ويتأوَّلُها على غير تأويلها، فيقع فيما ذَكَرَ الله Ĵ من تحريف الكَلِمَ عن مواضعه.

قال Ĵ : ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ .

الصلاةُ صفةٌ ملازِمةٌ لهم، الصلوات الخمس – بلا شك –

(١) رواه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٨) من حديث أنس بن مالك Ç ، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٤٣): رجاله رجال الصحيح.

حدٌ أدْنَى، وإن كان ينبغي أن نستحي من أنفسنا إن قلنا: (أنَّا نصلي الصلوات الخمس)؛ لأن الصلوات الخمس ليست – فقط – أن تأتي إلى المسجد؛ وإلا فأين الخشوع الذي فيها؟!

نحن نَعْلَمُ كيف هي صلاتنا! ونَعْلَمُ كيف تمرُّ الفاتحةُ بنا من غير أن نتدبَّرها! ونَعْلَمُ كيف تمرُّ بنا الآياتُ ونحن نريد أن ننتهِيَ من الصلاة ونُدْرِكَ المواعيد الأخرى! اللهم اغفر لنا.

فلابد أن تكون الصلاةُ مؤثرة فينا، ولا بد أن نعوِّضَ بالنوافل كثيرًا مما يفوتنا في حق الفريضة.

لابد أن نضع نُصْبَ أعيننا أمرَ الصِّلَة بيننا وبين الله، وقضيةَ العبادةِ وقضية الذِّكر، أن نكون صُوَّامًا قُوَّامًا، وأن نجتهد في ذلك، وأن نَبذل في هذه الصلة بيننا وبين الله، فقضية العبادة هي محور التربية وبدون العباة لن يتحقق إصلاح النفس ولن تتزَكَّى النُّفُوس بدون عبادات.

فالقلب كالوعاء، فَمن ليس معه وعاء ليأخذ فيه الهِبَات كيف سيأخذ الهِبَة؟! فأنت قلبك كالوعاء والعبادات هي التي تؤهل القلبَ لهذه المِنَنِ وهذه الهِبَاتِ من الله Ĵ ، فلا تربية دون عبادة، ولا تربية دون صلاة، لابد أن نصلِّي كثيرًا، ﴿ تَرَىٰهُمْ

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

رُكَّعًا سُجَّدًا ا ، هذه صفاتهم قَبْلَ أن يُولَدُوا، بَل قَبْلَ أن يُخْلَقُوا هم وآباؤهم، قَبل آلاف السنين قبل وجودهم، وكلُّ من سار على طريقهم كذلك يأخذنصيبًا من: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ا .

ثم إن العبادات البدنية أتت قبل الأحوال القلبية، فقد ذكر سبحانه وتعالى ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾ ا قبل ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ ا ؛ لأن العبادات وعاء للأحوال القلبية. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ ا : طلب الجنة. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ ا : طلب رضوان الله. والعمل بِمَرْضَاةِ الله هو الذي يؤدِّي إلى رضوانه.

كيف نَصِلُ لهذه العبادات القَلْبِيَّة؟ وكيف نُخْلِصُ لله؟

أَكْثِرْ من الصلاة، واجْتَهِدْ فِي الفِكر في موقفك بين يدي الله ﷻ يوم أن تَسمع من الله ﷻ وَسْطَ أهل الجنة: « تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ» فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ [1]

وفي رواية: « إِنَّ الله – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ» فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ.

(١) رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب ç .

فَيَقُولُ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟» فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: «أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟» فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

حين تسمع: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ا [خرف:٦٨ – ٧٠] هذا هو الفضل، والذي بعده – كما مَرَّ في الحديث السابق – هو الرِّضْوَان، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ ا . ورضوان الله أكبرُ من الجنة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ا [التوبة:٧٢].

وأهل هذه العبادات القلبية: من الإخلاص، وابتغاء الفضل والرضوان من الله، والرضا عن الله الذي يؤدي إلى مَرْضَاتِه أَيْ رِضْوَانِه ﷻ لأن « مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[2] – هم الرُّكَّعُ السُّجُودُ.

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ç

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤) من حديث أنس ç قال: إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ. «السلسلة الصحيحة» (١٤٦).

وَإِيَّاكَ أن لا تفتِّش فِي نفسك عن الأحوال القلبية: عن الحب، والخوف، والرَّجاء، والتوكُّل، والإنابة، والإخلاص...... وكلُّها متلازِمـة، فهي منظومـة واحدة، إذا اكتمل هـذا أدَّى إلى اكتمال الباقـي، فمثـلًا: إذا اكتمـل الإخـلاص اكتمـل الحـب واكتمل الخوف واكتمل الرجاء، ولابد أن تُؤَدِّي هذه العبادات كلها.

فتِّش عن نفسـك، وفتش فيها؛ حتى تَزِيـلَ الأمراض الخبيثة التي تَمنع من امتلاءِ القلب من العبادات القلبية، وابتغاءِ الفضل والرضوان من الله Ĵ .

ﮋ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﮊ .

ليس بذلك الأثر الذي فِي الجبهة؛ فكما سُئِل مجاهد: أَهُوَ أَثَرٌ يَكُونُ بَيْنَ عَيْنَـي الرَّجُلِ؟ قَالَ: « لَا، رُبَّمَا يَكُونُ بَيْنَ عَيْنَي الرَّجُلِ مِثْـلُ رُكْبَـةِ الْعَنْزِ، وَهُوَ أَقْسَـى قَلْبًا مِنَ الحِجَـارَةِ، وَلَكِنَّهُ نُورٌ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ الْخُشُوعِ»[1].

فهو نور التوحيد، كما قال ابنُ عبَّاسٍ Ç : «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالَّذِي تَرَوْنَ، وَلَكِنَّهُ سِيمَا الْإِسْلَامِ وَسِحْنَتُهُ وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٤).

(٢) قال الطبري: «وعُني بذلك، أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا». تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٣).

وكمـا قال بعضُ السَّـلَفِ: «مِنْ كَثُـرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُـنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ»[1].

ﮋ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﮊ قال ابنُ عباس Ç : إِنَّ لِلْحَسَـنَةِ نُـورًا فِـي القَلْـبِ، وَضِيَـاءً فِـي الْوَجْـهِ، وَقُـوَّةً فِـي الْبَدَنِ، وَسَـعَةً فِي الـرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. وَإِنَّ لِلسَّـيِّئَةِ ظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَسَـوَادًا فِي الْوَجْـهِ، وَضَعْفًا فِي الْبَدَنِ، وَضيقًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ».

ﮋ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﮊ : علاماتهم.

ﮋ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﮊ : هـذه العلامـات تظهـر فيهـم بسـبب سـجودهم، كثرة السـجود لله Ĵ ، لا في المواسم فقط؛ فإن ذلك لـو كان في المواسـم فقط فلا يحصل المقصـود الكامل من هذه الأوصاف.

وهذه العلامات مَن رآها شاهد النورَ، ودخل الإيمان في القلوب تبعًـا؛ لذلك فإنّ الصحابة فتحوا قلوبَ العباد بعد فتحهم البلادَ، واسـتقر الإسـلام فِي كل هذه البلاد لأنهـم رَأَوُا الصحابة Ç

---

(١) رُوي مرفوعًـا ولا يصح؛ ولكن المعنى صحيح. وانظر «السلسـلة الضعيفة» (٤٦٤٤).

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

كيف يتعاملون، ورَأَوُا التابعين كيف يُصَلُّونَ، وكانت مجرَّدُ رؤيةِ المسلمين وهم يصلُّون سببًا في إسلامهم.

* فلما فَتح الصحابةُ الشَّامَ، رأى أهلُ الشام الصحابةَ فقالوا: هـؤلاء خير من الحواريِّين الذين صَحِبُوا المَسِيحَ![1] وصَدَقُوا في ذلك، وكان هذا سببًا في إسلامهم، ومعظم الأُمم تركت دِينَها وتركت لُغَتَهَا وتركت عَادَاتِهَا وتقاليدَها إلى دين الإسلام ولغة الإسلام – لغة القرآن –؛ لأنهم رَأَوُا الصحابة Ç .

فالصلاةُ كانت شيئًا أساسيًا يغيِّر من سُلوك العالَم.

*والرسول Ý لمَّا أراد أن يُسْلِمَ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ – وكان سَيِّد بَنِي حَنِيفَةَ أَسَرَتَهُ خَيْلُ المسلمين وهو متجِّه إلى العُمرة على شِرْكِه – فربطه رسول الله Ý في المسجد، وأتاه فقال: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ. إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ Ý حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ.

وقولهُ: «إِنْ تقتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ» أَي: أنه يُشْتَفي بقتلي؛ لأن قَتْلِي شيءٌ كبيرٌ عند قومي، وأنت ستكون قَتَلْتَ مَن يُشْتَفَي ويُزَالَ

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٧١/ ٣٦٠).

الغَيْظُ بقتلِه.

فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ Ý حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ».

الصلاةُ التي رَأى عليها المسلمين غيَّرته، فبدلًا من أن يقول: «تَقْتُل» أولاً – كما قال في اليوم الأول – قال: « تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ» فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ Ý حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ. فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

كانَ عنده أَنِفَةٌ أن يُسْلِمَ وهو في الأَسْرِ، إنما يريد أن يُسْلِمَ بِطَرِيقةٍ أُخرى أَعَزَّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ Ý : «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ

مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ كُلِّهَا إِلَىّ»[١].

ثلاثة أيام غيَّرت حالَه من الضِّدِّ إلى الضِّدِّ برؤية الصحابة يصلُّون! لم يكلِّمه أحدٌ كثيرًا، ولم يُلْقِ عليه الصحابةُ محاضَرَاتٍ في فضائل الإسلام، رآهم يصلُّون فقط، رآهم كيف يصلُّون، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

* أبو بَكْرَ الصِّدِّيق Ç ، خَرَجَ مهاجرًا تاركًا مكَّةَ فلَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فقال: «أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي» قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: «إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِى الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ».

فأجاره ابن الدّغِنَة، والمشركون لا يستطيعون أن يردُّوا جواره، فاشترطوا على ابن الدَّغِنَة أَلَّا يصلِّي أبو بكر Ç أمام الناس، بل يصلِّي في داره، قالوا: «فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا» أي: إذا رَأَوْهُ اجتمعوا حوله فأسلَموا.

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ

(١) رواه مسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة Ç .

فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ[١].

* مَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ Ç كان يدعو الناسَ بأن يَقْرَأَ عليهم القرآنَ[٢].

فقراءة القرآن تغيِّر، والناسُ لو رَأَوْنَا نصلِّي – إن كانت صلاتُنا فعلًا فيها نورٌ – فسنغيِّر العالَم كلَّه دون كلام كثير.

فلابد من العبادة – العبادات الظاهرة والعبادات الباطنة – في ابتغاء الفضل والرِّضوان، ووجودُ النُّور في القلب سببُ العبادات وسببُ الحسنات.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

كثرة السُّجود، وقد قال النبي Ý لمن أراد مرافقتَه في الجنة: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٣].

لابد أن ننظرَ في أنفسِنا ونَزِنَ أنفسَنا؛ لأننا نتكلَّم كثيرًا جِدًّا

(١) القصة بكاملها رواها البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة Ç .
(٢) «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٣/ ١١٦).
(٣) رواه مسلم (٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي Ç .

والآثارُ ما زالت ضعيفة، ولم يتغيَّر العالَم بإذن الله تبارك وتعالى.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾.

شَـرَفٌ عظيمٌ جِدًّا أن يُذْكَرُوا قَبْلَ ولادتهم بآلاف السنين، أن يُذْكَرُوا في الكتاب الذي أنزله اللهُ على مُوسَى!

فالله ﷻ قد ذَكَرَ مَثَلَ الصحابةِ، وَذَكَرَ صفاتهم قبل ميلادهم.

وهذا دليل على أنَّ اللهَ يَمُنُّ على مَن يشَـاء، وأنَّ أعمالَ العِبادِ مخلوقـةٌ، وأنَّ الله هـو الـذي وَفَّقَهـم وهَدَاهُم؛ فَقَبْـلَ أن يعملوا وُهِبُـوا هذه الأعمـالَ، ووُصِفُوا بهـا قبل أن يفعلوهـا. وهذا من الإيمـان بالقَضَـاءِ والقَـدَرِ، والله ﷻ يَمُنُّ على مَن يشـاء بفضلِه، نسأل اللهَ أن يَمُنَّ علينا بفضلِه.

قـال تعالـى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ أي: أخرج فِرَاخَه وصِغَارَه وما حوله. ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْـتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ أي: على سَاقِه التي يقوم عليها.

والرسولُ ﷺ كان هذا الزَّرْع، والصحابةُ كانوا أَفْرَاخَه، كانوا صِغَارَ هذا الرزع، بَدَءُوا قِلَّةً ضُعَفَاءَ، ثم كَبُرُوا وقَوَّاهُمُ اللهُ، وأَيَّدُوا رَسُوله ﷺ وصاروا نصرةً له ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ﴾ [الأنفال:٦٢ - ٦٣].

وكذلـك - في الحقيقـة - صفةٌ من يأتي بعدهـم إذا كان على طريقِهم، فهل لنا نصيب من هذا؟

نعم، حين نكون كمَن قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠]، هـذا هو الـذي يحقِّق لنا نصيبًا من هذا، أن نكـون كلُّنا مُؤَازِرِينَ لرسولِ الله ﷺ، ناصرين لسُنَّتِه، ناصرين لِدِينه ﷺ، عامِلين على إعـلاء هذا الدِّين في الأرض كلِّها، ونكون لمن سَـبَقَنَا كالشَّـطْءِ للـزَّرْعِ، لا أن يكـون كلُّ صغيرٍ يبدأ عدُوًّا لمن سَـبقه، بل سـبيلٌ واحدٌ، وطريقٌ واحدٌ، وأمةٌ واحدةٌ، نَتَحابُّ في الله بلا حِقْدٍ ولا غِلٍّ ولا حَسَدٍ، هذا الذي يؤهِّلنا أن نكون كهؤلاء الصحابة ﭫ.

أمَّا أنَّ كلَّ مَن يَخْرُجُ يكون شـيئًا بعيدًا عمَّن سَـبقه، لا يُؤَازِرُه ولا يُعَاضِدُه ولا يَشُدُّ من أَزْرِه؛ إذن كيف يأتي النصر والتمكين؟! كيف نحقِّق المستقبل للإسلام وليست هذه الصفات موجودة؟! لابد إذا أردنا أن نكون لَبِنَاتٍ في البناء وخطوات على الطريق، أن تُوجَدَ فينا هذه الصفات.

﴿ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾

صاحب الزرع يعجبه الزرع، ويحبُّ هذا الزرع، والله - سبحانه وتعالى - يحب رسوله Ý، ويحب أصحابه، ولَعَنَ الله مَن سبَّهُم؛ ولذلك استدلَّ الإمام مالك على كُفر مَن أبغض الصحابةَ بقوله تعالى: ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾[1]، فمَن كان يُغْتَاظُ من الصحابة من أجل نُصْرَتِهم، ودعوتِهم إلى الله Ĵ فهو داخلٌ في هذه الآية، فمَن أبغض الصحابة لأجل صُحبَتِهم أو لأجل نُصرتهم لرسول الله Ý أو لأجل إقامتِهم للدِّين فهو كافر أو منافق، كما قال عَليُّ بنُ أبي طَالِب Ç: وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ Ý إِلَىَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِى إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِى إِلاَّ مُنَافِقٌ»[2].

فنحن نحبُّ الصحابة Ç، والرَّافِضَّةُ أبعدُ الناس عن هذه الآية الكريمة، بل امتلأت قلوبهم غِلًا لهم، وغلُّهم ظاهر في العالَم، والعَجَبُ في زماننا ممن يقول: (لا فَرْقَ بيننا وبينهم)! أَيَسُبُّونَ أصحابَ رسول الله Ý ويستحقُّون اللَّعْنِ من الله على ذلك ونقول: (لا فرقَ بيننا وبينهم)؟!

ألَا تَحِبّ آلَ بيتِ النبي Ý حقيقةً حتى تكونَ على طريقتِهم في حبِّ الصحابة وتَولِّيهم والكونِ على سبيلهم وطريقتهم؟! هذا مذهب أهل بيت النبي Ý؛ فعَليٌّ Ç كان وِزيرَ صِدْقٍ لأبي بَكْر ثم عُمَرَ ثم عُثْمَانَ، وأولادُ عليّ Ç - من الحَسَنِ والحُسَيْنِ وبقيَّة أهل البيت - هم الذين كانوا يدافِعون عن عُثْمَانَ في حِصَارِه، لولا أنَّ عثمانَ هو الذي طلب منهم أن ينصرفوا؛ لأنه لا يريد أن يُسْفَكَ فيه دَمُ مسلمٍ Ç.

الغرض المقصود: أنَّ منزلةَ الصحابة عند أهل البيت منزلةٌ معلومة، يحبُّونهم ويَتَوَلَّوْنَهُمْ، ويَتَوَلَّوْنَ أزواجَ رسولِ الله Ý، ويَعْرِفُونَ أنهن أُمَّهَاتُ المؤمنين، وأزواجُه في الجنة، لا كما يزعم الزنادقةُ المنافقون، من الطعنِ في عائشة Ç وغيرِها من أُمهات المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا ﴾

﴿ مِنۡهُم ﴾ هنا لبيان الجِنس، كقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢]، فهو - كجنسٍ -

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦٠).
(٢) رواه مسلم (٧٨).

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع
إدارة المبيعات

كلُّه فيه شفاء ورحمة، لا أنَّ بعضه فيه شفاءٌ وبعضَه ليس فيه شفاءٌ، أو أن بعضه فيه رحمة وبعضه ليس فيه رحمة، فـ «مِنْ» هذه ليست للتبعيض، فكذلك ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾: ممن كان بهذه الصفات من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كلهم من المهاجرين والأنصار فيهم هذه الصفات، والمنافقون لَيْسُوا منهم، وكذا المُرْتَدُّونَ ليسوا منهم؛ لأنهم لم يَمُوتُوا على ذلك، فمَن كان يظهر أنه منهم وليس منهم فإِنَّ الله ﷻ يعلم ما في قلبه فيعامله على ما في قلبه.

فهذا هو الطريق الموصِّل إلى هذا المستقبل الذي نريد، نريد أن نحقِّق الإسلام والإيمان والإحسان في كل واحدٍ فينا، أن نكون لَبِنَاتٍ صالحةً ثم ارتباطَ هذه اللَّبِنَاتِ بعضِها ببعضٍ وتعاوُنِها على البِرِّ والتقوى؛ لِتُشَكِّل جدارًا وكِيَانًا وأُمَّةً واحدةً، ثم لابد أن يوجدَ فينا نصيبٌ من صفاتِ أصحابِ محمدٍ ﷺ ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ [الجمعة: ٣] وإنْ لم نُدْرِكْ فضائلَهم، ولكن نكون منهم وعلى طريقتهم، ونَتَلَمَّس صفاتهم.

نسأل اللهَ ﷻ أن يُعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأن يُذِلَّ الشِّرْكَ والمشركين، وأن يدمِّر أعداء الدِّين.